طه حسين :المسرح الوثائقي

حسين حسنين

أهدى هذا العمل إلى فريد ومدام غنيم وسهير القلماوى
ومؤنس وأمينة وقبلهم جميعا مدام سوزان
تلك الزوجة الصديقة لأستاذنا الكبير
الدكتور طه حسين أحد رواد التنوير
فى مصر الحديثة

كاتب وباحث - عضو إتحاد كتاب مصر

TAHA HUSSEIN: PEÇA TEATRAL

O escritor egípcio Taha Hussein (1889-1973) ocupa um lugar de destaque no cenário da cultura árabe moderna e contemporânea. Sua produção literária e suas contribuições intelectuais foram bastante diversificadas e desempenharam um importante papel de modo que não se pode falar em literatura árabe sem citar Taha Hussein. Esta peça teatral procura apresentar esse literato, por meio de um texto fictício, com o intuito de destacar as principais características de sua obra.

TAHA HUSSEIN: OBRA DE TEATRO

El escritor egipcio Taha Hussein (1889-1973) ocupa un lugar destacado en el escenario de la cultura árabe moderna y contemporánea. Su producción literaria y sus contribuciones intelectuales fueron muy diversificadas y desempeñaron un importante papel, de modo que no se puede hablar de literatura árabe sin citar a Taha Hussein. Esta obra teatral intenta presentar a este literato, por medio de un texto ficccional, con la intención de destacar las principales características de su obra.

طه حسين : مسرحية

يحتل الكاتب المصري طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) مساحة متميزة في خريطة الثقافة العربية المعاصرة . لقد تنوعت إنتاجاته الادبية و مساهماته الفكرية بحيث لا يمكن الحديث عن الادب العربي دون ذكر طه حسين . و تحاول هذه المسرحية ان تقدم لنا هذا الاديب العملاق من خلال هذا النص المُتخيّل محاولا إبراز أهم معالم شخصية هذا الاديب و المفكر المتميز

TAHA HUSSEIN: PIÈCE DE THÉÂTRE

L'écrivain égyptien Taha Hussein (1889-1973) occupe une place privilégiée dans le cadre de la culture arabe moderne et contemporaine. Sa production littéraire et sa contributions intellectuelles furent bien diversifiées et jouèrent un rôle important si bien que l'on ne peut parler de littérature arabe sans citer Taha Hussein. Cette pièce de théâtre présente cet homme de lettres, au moyen d'un texte fictif dans le but de souligner les principales caractéritiques de son oeuvre

TAHA HUSSEIN: A PLAY

Egyptian author Taha Hussein (1889-1973) occupies a special place in the modern and contemporary Arabic cultural scene. His literary production and intellectual contributions were very diverse and his impact was so important that one cannot now talk about Arabic literature without mentioning Taha Hussein. This play aims to present this man of letters through a fictitious text, which illustrates the main characteristics of his work.

فى أذن مخرج العمل

يقسم المسرح الى قسمين ، الاول خلفى وهو يحدد المسار التاريخى للمشهد الذى سنكون بصدده والذى يتم مسرحيته بالقسم الامامى . وبخلفية المسرح أيضا لوحة كبيرة تحدد زمن المشهد وأسماء وصور أفراده اذا تطلب الامر . أيضا يوجد بالمسرح شرفتين علويتين بيمين ويسار المسرح وبعمقه إذا أمكن ذلك من خلال التجهيزات المسرحية . تلعب الإضاءة دورا محوريا هاما للغاية ، وهو ما يفضله المحترفون للعمل فى هذا الشأن . أما الموسيقى فيجب إختيارها بدقة وبحس عال خاصة وأنها ترتبط بنهاية القرن التاسع عشر والعشرين.

حاولت ما أمكن وضع حد أدنى للحركة على المسرح ، وراعيت التقطيع الحوارى مستخدما فى ذلك النقاط ... كعلامة للتقطيع ،ولكن ليس بالضرورة التزام المخرج بذلك ، وكل ما آمله ألا يقل المستوى الاخراجى عن ذلك ويفضل دائما أن يزيد عنه .

المقدمة

إن حياة طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣) تختلف عن حياة الكثيرين من رواد التنوير الكبار أمثال رفاعة الطهطاوى والشيخ محمد عبده وعلى عبد الرازق وأحمد لطفى السيد وقاسم أمين وغيرهم.

فبالإضافة إلى كون طه كفيفا ، فقد كان مشروعه فكرياً حضارياً مكتمل الأبعاد ، تمثل فى حرية العقل والنقد والتنوير بالديمقراطية ومجانية التعليم الثانوى وجعله متاحا للناس جميعا كالماء والهواء ، علاوة على تشديده على العدل الاجتماعى.

لقد كتب طه حسين فى الأدب والنقد والترجمة والمباحث الاسلامية والتاريخ والسيرة ، وفى الاجتماعيات وفى التربية ، وكتب أيضا الرواية والقصة القصيرة . ونحن هنا بصدد البحث فى مجال القصة القصيرة ، وآمل أن يصل هذا العمل ببساطة وسهولة إلى قلب القارىء وكذلك المشاهد للعمل على خشبة المسرح.

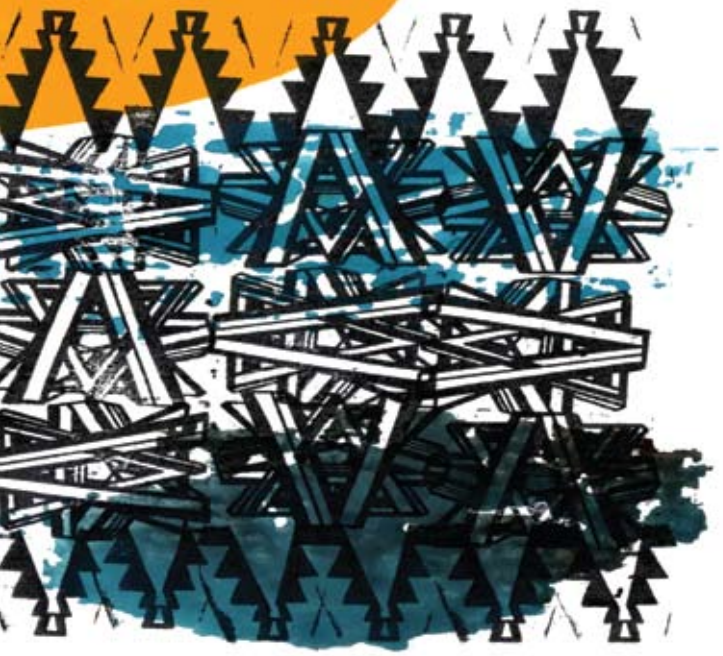

شخصيات المسرحية

الراويان .
طه حسين .
سوزان .
مؤنس .
أمينة .
سهير .
فريد شحاته .
رجال .
نساء .
فتيات .
فتيان .
أطفال .

المشاهد

المشهد الأول

يفتح الستار ، ويشاهد بالقسم الخلفى للمسرح لوحة كبيرة عليها صورة مكتوب أسفلها طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) ، ويشاهد أيضا طفل صغير فى الثامنة من عمره يرتدى جلباب وطاقية على رأسه من نفس نوع الجلباب ويسند رأسه المتدلية لأسفل بكفيه كما لو كان يعانى ألما برأسه أو فى حالة حزن شديد ، ومن حوله أطفال يمرحون ويجرون هنا وهناك دون اهتمام به . تخفت الإضاءة عن القسم الخلفى وتتجه الى القسم الأمامى حيث يوجد الراوى " ١ " بشرفتة العلوية بيمين أعلى المسرح :

الراوى (١) ينتمى طه حسين إلى جيل محمد حسين هيكل ومحمد تيمور . . . وإذا كان محمد حسين هيكل من مواليد عام ١٨٨٨ ومحمد تيمور ١٨٩٢ ، فقد ولد طه حسين فى عام ١٨٨٩ . . . ثم تعرف عليهما فيما بعد ، إلا أن علاقته بمحمد حسين هيكل كانت أطول أمدا نظرا لوفاة محمد تيمور فى سن مبكرة . . . أما القاسم المشترك الأعظم بينهم فهو الدراسة والثقافة الأوربية وتحديدا الفرنسية حيث ذهب محمد حسين هيكل لنيل درجة الدكتوراه فى الإقتصاد والسياسة عام ١٩١١ وإستمر بباريس حتى نهاية عام ١٩١٤ . . . وذهب محمد تيمور فى نفس الفترة إلى فرنسا لدراسة القانون وعاد إلى القاهرة عام ١٩١٤ (تتجه الإضاءة إلى الراوي " ٢ " بشمال أعلى المسرح)

الراوي (٢) بينما طه حسين بدأ مرحلته التعليمية بالأزهر ثم بالجامعة الاهلية المصرية . . . وتعلم اللغة الفرنسية بإحدى المدارس الليلية بحى الأزهر ، ثم بالقسم الفرنسي بالجامعة الأهلية التي حصل منها على درجة الليسانس . . . وتقدم بأول رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه تحت عنوان تجديد ذكرى أبى العلاء وحصل على تقدير جيد جدا فى مايو عام ١٩١٤ . . . وأرسلته الجامعة فى بعثة دراسية إلى فرنسا فى نوفمبر ١٩١٤ . . . وهناك درس الآداب حتى حصل على الليسانس من السوربون بجامعة باريس . . . ثم تقدم برسالته لنيل درجة الدكتوراه من نفس الجامعة فى فلسفة إبن خلدون . . . وإستمر طه بباريس حتى عام ١٩١٩ عندما عاد إلى القاهرة ليلقى محاضراته عن التاريخ اليونانى والرومانى القديم بكلية الآداب بالجامعة الأهلية المصرية (تتجه الاضاءة للراوي " ١ " بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) وعن طريق الثقافة الفرنسية إلتقى طه حسين وقاسم أمين ومحمد حسين هيكل ومحمد تيمور وأحمد لطفى السيد ومن بعدهم توفيق الحكيم وإتخذوا جميعا .. خاصة طه حسين.. أدوات منهجية فى معالجة المادة التراثية .. كانت أقرب إلى العقلانية بإتجاهاتها المختلفة . . . لذلك نجد أن مؤلفات محمد حسين هيكل وتيمور وطه قدمت صورا جديدة عن الإسلام تختلف عن الصورة التقليدية الموروثة . . .(تتجه الإضاءة إلى الراوي " ٢ " بشمال أعلى المسرح)

الراوي (٢) أما الإختلاف الجوهري فيما بين هؤلاء . . . فكان فى الوضع الإجتماعى لهم الذي كان له إنعكاساته الواضحة بحياة كل منهم . . . فقد كان محمد حسين هيكل ينتمى إلى الطبقة البرجوازية ومحمد تيمور للطبقة الأرستقراطية بينما طه حسين فكان ينتمى إلى الطبقة المتوسطة حيث كان والده أزهرى وأمه لا تعرف القراءة .. ولعل ذلك ترك آثاره الواضحة فى بصره الذى فقده نتيجة جهل والدته ، والذى ظل حاضرا معه وجعله متمردا وبقوة على ذلك الجهل والمرض والفقر طول مراحله العمرية وحتى وفاته . . .(تتجه الإضاءة إلى مقدمة المسرح حيث يشاهد ثلاثة رجال، أحدهم صحيح الجسم والثاني كفيف والثالث يعرج قليلا ويتكىء على عصاه ،ويستفسر الأخير وهو ينظر ناحية الرواى ثم إلى صديقيه فالجمهور)

رجل (١) (مندهشا وهو ينظر إلى صديقه الكفيف ثم إلى الجمهور) . . .ولكن . . . من أين أتى طه بكل تلك الإرادة القوية وتحدى المجهول وهو كفيف ؟(يرد الراوى " ١ " موجها حديثه للرجل " ١ " ومن معه ثم للجمهور)

الراوى (١) كان طه حسين يملك من اليقظة الروحية والإستنارة العقلية نسبة عالية... إستقاها من مشروع النهضة التنويرية التى قادها الطهطاوى والنديم ومحمد عبده وتلاميذه... قاسم أمين وأحمد لطفي السيد وآخرين من أبناء جيله بتلك المرحلة... إستطاع طه حسين أن يتحدى الكثير من الوعي الزائف الذي يخلط الدين بالسياسة ... ولا يميز بين الإلهى والبشرى ويسبغ تقديسه على الجميع... كانت مساهمته نشطة فى سحب البساط من تحت أقدام الخرافات الشعبية التي لها مؤسساتها ورموزها من أصحاب المصالح في المجتمع المصري ... (تنحسر الإضاءة عن الراوي" ١" لتظهر على الباب الأيمن بالقسم الأمامي للمسرح ويشاهد رجل كفيف آخر فى خريف العمر يمسك بيده اليمنى عصا ويتجه ببطيء نحو وسط مقدمة المسرح مستعينا فى ذلك بعصاه وبجواره طفل صغير فى العاشرة من العمر ،ويقول الكفيف أثناء سيره في الجمهور)

الكفيف إن فقدان البصر فى الطفولة المبكرة ليس من الأمور التى يجوز إعتيادها إذا إرتبطت بشخص أصبح فيما بعد طه حسين ... وفى تاريخنا الثقافى هناك بعض الأسماء الجليلة الشأن ممن فقد أصحابها البصر ولكنهم لم يصلوا إلى قامة طه حسين الذى تحدى تلك الآفة بكل ما يملك من إرادة ... (في تلك الأثناء ينظر الرجلان "الصحيح الجسد والأعرج" إلى صديقهم الكفيف ويهمسان فى أذنيه ويبتسمان ، ثم ينظران إلى المتحدث الكفيف بقليل من الإندهاش ، بينما الكفيف يستمر في حديثه)... فلم يكن طه حسين فقط أزهريا ثاقب النظر وأستاذا جامعيا حاد الذكاء ... بل كان صاحب مشروع ورؤية تنويرية ... جعلت منه أحد قادة التنوير فى تاريخنا المعاصر...(يتوقف الكفيف برهة، ثم يضيف وهو يشير بعصاه بإتجاه الجمهور).. وعلى يده أضحت المعرفة لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث هى مقياس البصر والبصيرة...(يعاود الرجل الصحيح الجسد والأعرج النظر إلى صديقيهما الكفيف ثم يقول الصحيح الجسد له)

الرجل الصحيح طبعا إنته ما حاولتش تعمل حاجة من دي !!(يضحك الثلاثة ، ويشاهد الطفل وهو يمسك بيد الرجل الذي معه ويسأله)

الطفل ولكن كيف أصابه العمى يا جدى؟(يرد الكفيف)

الكفيف (بحزن) هذه حكاية تطول...ومع ذلك سأحكيها لك يا غلام ... فقد رمد طه حسين وهو طفل صغير ... وعولج علاجا قاسيا بتشريط الأجفان والخزام وراء الأذن ... وكانت تؤلمه تلك النقاط من السائل التى كانت تقطرها أمه له فى عينيه ... ومع جهل الأم بطرق العلاج الصحيحة ... فقد الطفل بصره ...

(تنحسر الاضاءة عن المسرح وتسمع موسيقى)

المشهد الثاني

يفتح الستار ويشاهد بالقسم الخلفى شاب فى الثلاثينات من العمر، طويل القامة ، نحيل يرتدى بدلة أنيقة وعلى رأسه طربوش أكثر رقة وأناقة . يجلس الشاب وسط عدد قليل من الرفاق فى صالون صغير وهو يدخن سيجارته . تخفت الإضاءة قليلا عنهم وتتجه للراوي" ١ " بشرفته العلوية بيمين المسرح

الراوى (١) (يشير بيده ناحية طه) ... وفقد طه حسين بصره نتيجة الجهل وإنعدام الثقافة الصحية وجهل الأم ... تلك النتيجة المؤلمة أثارته كثيرا على الجهل والفقر والمرض ... ودفعته عن إيمان عميق بضرورة التعلم للوصول إلى أعلى المراتب ... كان يأمل من وراء ذلك... إتاحة التعلم والثقافة لكافة المصريين ... وظل طه يكافح من أجل مشروعه هذا طوال حياته حتى لا يفقد شخص آخر بصره أو حياته نتيجة للجهل والتخلف... (أثناء ذلك يشاهد طفل صغير قادم من الباب الإيمن بالقسم الأمامى متجها إلى مقدمة المسرح ويشير بيده ناحية الراوى" ١ " مستفسرا)

الطفل ومتى علم طه حسين بأنه كفيف ولا يرى ؟(يجيبه الراوى وهو يبتسم له، ويشير بيده ناحية طه) .

الراوي (١) ... أجاب عن ذلك طه حسين وهو فى الثلاثينات من عمره عندما قال...(تنحسر الإضاءة عن مقدمة المسرح وتتجه إلى القسم الخلفى حيث يشاهد طه حسين ينهض واقفا بعد أن يضع سيجارته بطفاية السجائر ويتحدث فى رفاقه ثم في الجمهور)

طه حسين كنت أحس وأنا طفل صغير أن أمي تعاملني معاملة خاصة ... وتطورت تلك المعاملة إلى الإهمال أحيانا والغلظة أحيانا أخرى... كما كان هناك

إهمال واضح من والدي ... وفوق كل ذلك كانت هناك حيطة واضحة في تعامل أخوتي معي ...(يتقدم خطوتان للإمام ولكن بحذر، ثم يقف، ويضيف بعد برهة بصوت حزين)... وقد تحول ذلك إلى حزن ... حزن صامت وعميق خاصة بعدما سمعت أخوتي...(يصمت برهة ثم يضيف) سمعت أخوتي يصفون أشياء لا علم لى بها ... هنا فقط علمت أن أخوتى يرون وأنا لا أرى... وتلك كانت الكارثة ... (ينهض واقفا أحد رفاقه ويتقدم خطوة نحوه ويسأله)

رجل (١) وماذا عن الظلام بعد أن أصبحت لا ترى؟

طه حسين (يخلع نظارته ذات العدسات البنية اللون ويفرك بيده الأخرى عيناه ثم يضع نظارته ثانية وهو يقول)... كنت أكره الظلمة ... وعندما يتركونى أخوتى ولا يفكرون فى أمرى ... أصبح ... (بحزن) أصبح وحيدا ... عاجزا عن الحركة فى ظلام وصمت يطولان حتى يصبحا عذابا حقيقيا ... (ينهض آخر ويتحرك تجاه طه مستفسرا)

رجل (٢) كيف كان أثر الصوت الخارجى عليك بعد فقدان البصر؟ وهل يمكن أن تصف لنا مدى تأثرك به ؟

طه حسين (يرسل آهة طويلة حزينة وهو يعود إلى كرسيه وخلفه رفاقه ، ثم يتحسس سيجارته حتى يمسك بها ثانية وهو يقول فيهم) آه ...الصوت ... كنت ... كنت أشعر بأن صوتا متصلا يشبه طنين البعوض لولا أنه غليظ ممتلىء ... وكان ذلك الصوت يبلغ أذنى فيؤذيها ... ويبلغ قلبى فيملؤه رعبا ... (بحزن شديد) كنت ... كنت أجلس القرفصاء ... وأعتمد بمرفقى على ركبتى ... وأخفى رأسى بين يداى .. وأسلم نفسى لهذا الصوت الذى يأخذنى من كل مكان ... ومع أن سكون العصر كان كثيرا ما يضطرنى إلى النوم ... فقد كان سكون العشية يضطرنى إلى اليقظة التى لا تشبهها يقظة ... (يقف طه ثانية بعد أن يطفىء سيجارته ويتحرك للإمام بضع خطوات والألم يعصره وهو يقول) ... كان أهم ما يضايقنى هو تلك الساعات الطوال التى أنفقها وحيدا ... والتى تذكرنى أنه لو لم أكن كفيفا لاستطعت أن املأها قراءة وعملا وجدا . (يسأله رفيق آخر وهو يتحرك تجاهه) .

رجل (٣) وماذا عن الزمن ؟ (يتجه طه برأسه ناحية صوت صديقه، ثم يعيد رأسه ناحية الجمهور)

طه حسين الزمن ... أذكر أنه مع مرور الوقت لم أعد أذكر لليوم اسماً ... ولم أستطع أن أضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة .. بل لم استطع أن أذكر من هذا اليوم وقتا بعينه .

(يسود الظلام وتسمع موسيقى تتناسب مع الحدث) .

المشهد الثالث

يفتح الستار ويضاء المسرح تدريجيا . يشاهد بالقسم الخلفى سوزان زوجة طه حسين وأولاده "مؤنس وأمينة" وأصدقائه المقربين من الجنسين وهم يتحدثون فى صالون منزلى . تخفت الاضاءة عنهم قليلا وتتجه إلى الراوى "١" بيمين أعلى المسرح.

.

الراوى (١) إن خصائص فن وإسلوب طه حسين الأدبى ذات طبيعة خاصة .. ولكن أهم ما يعنينا هنا هو طريقة نقل طه حسين للصورة المرئية وهو كفيف ...(يرد الراوى "٢" من شرفته العلوية بشمال المسرح)

الراوى (٢) كان يستمد صوره من ذكريات الطفولة حيث كان إخوته يحدثونه عنها ... ويصفونها له أثناء حديثهم معه عندما كانوا يسترجعون ذكريات أحداث ما ... كما لعبت زوجته فيما بعد دورا بارزا فى هذا الخصوص ... إضافة إلى أولاده وكذلك أصدقائه المقربين منه ... وأذكر هنا ما قالته إبنة صديق عزيز له كانت وثيقة الصلة به وأسرته هي سهير القلماوى (تنحسر الإضاءة عن مقدمة المسرح وتشدد على القسم الخلفي حيث تشاهد سهير تقف من بين الجالسين وتتقدم بضع خطوات بإتجاه الجمهور وتقول وهى تشير بيدها الى سوزان زوجة طه حسين) .

سهي كانت زوجته الفرنسية الكاثوليكية الديانة تؤمن بتأبيد الزواج ... مقدرة لكل أعباء زوجها ... وفوق ذلك أرادت أن يصل زوجها الى الرفعة وكل أسباب الخلود برغم تلك الآفة اللعينة التى حرمته من الإبصار ... (تنظر سهير إلى سوزان ثانية ثم إلى الجمهور وتضيف) ... لقد أحاطته سوزان بجو من الحب المسئول الجاد طوال حياته ... وحتى سنوات عمره الأخيرة على الرغم من ضخامة العبء

وقسوته عليها ... لذلك جاء مفهوم الحب فى كتابات طه حسين مفهوما أخلاقيا ساميا . (فى تلك الأثناء يشاهد طفل صغير يدخل من الباب الأيمن بوسط المسرح ويجرى بسرعة إلى مقدمته والإضاءة تلاحقه من أعلى سقف المسرح ويقول في الجمهور وهو يشير بيده ناحية مؤخرة المسرح حيث سهير القلماوى)

الطفل أنا عايز أفهم...إزاى يا جماعة الدكتور طه وصف الطبيعة والحركات الإنسانية في قصصه ورواياته ذلك الوصف الجميل كما لو كان يراها ... على الرغم أنه كان كفيفا ؟ (تشير سهير بيدها من مؤخرة المسرح ناحية الطفل وتقول بصوت واضح النبرات للجمهور وللطفل الذي يتلاشى فى ظلام مقدمة المسرح)

سهير أسمعك يا غلام ... (تخفض من نبرة صوتها) ... لقد كان طه حسين يعتمد على عيني زوجته سوزان (تشير بيدها ناحية سوزان) المثقفة... ثقافة ممتازة في رؤية الأشياء والطبيعة والحكم على بعض الأشياء والتصرفات التى تقع عيناها عليها ... كانت سوزان عينا متجددة للثقافة ... تتابع أحدث المؤلفات ... وأهم الأحداث الثقافية فى فرنسا ... كانت تقرأ كثيرا ليس لطه حسين فحسب ... وإنما لنفسها أيضا...(تعود سهير إلى مكانها وتتجه الإضاءة ثانية إلى الطفل الذى يظهر بمقدمة المسرح وهو يبتسم ويسأل الجمهور مستفسرا)

الطفل من كان يقرأ له بالاضافة الى زوجته ؟ (يرد مؤنس "إبن طه حسين" الذى ينهض واقفا ويتحرك للأمام بإتجاه الجمهور)

مؤنس كانت والدتى تقرأ له فى البداية ... وعندما وافقت الجامعة على منحه سكرتيرا خاصا ...عمل معه شاب ألمانى يدعى ألبير برزان فى الفترة من عام ١٩٢١ وحتى ١٩٢٤ .. بعد ذلك عمل معه فريد شحاته وكان يجيد العربية والفرنسية (ينهض فريد شحاته ويتحرك بإتجاه مؤنس وينظر إليه مؤكدا كلامه ثم إلى الجمهور)

فريد شحاته نعم ... هذا صحيح ... عملت سكرتيرا خاصا له لفترة طويلة ... كنت أقرأ له بالعربية والفرنسية ... كانت عادته فى الكتابة أن يقوم بإملائى ما يريد وهو جالس على كرسيه فى مكتبه ولا يتحرك كثيرا ... (يتحرك بضع خطوات للأمام ويضيف).. وأحيانا يملى وهو يمشى أمام المكتب... وسواء كان جالسا أو ماشيا

لاتفارق السيجارة أصابعه...وبعد أن ينتهى من الإملاء لا يعود إلي ما أملاه مرة ثانية...(يشير بيده ناحية مؤنس وأمينة ومدام غنيم ويضيف)... أيضا كان يقرأ له وبإنتظام أولاده مؤنس وأمينة ومدام غنيم صديقة الأسرة وسهير القلماوى ... بالاضافة إلى عدد من التلاميذ والأصدقاء...(تشدد الإضاءة على سهير التى تقول وهى جالسة بجوار سوزان)

سهير لذلك... فالدارس لأدب طه حسين لابد أن يحسب حساب هذه العيون التى حنت عليه ...(تنظر إلى سوزان مستشهدة بها) ... لم يعرض مطلقا ما كتبه على أحد قبل نشره .. ولم يتحدث عنه مع أحد ...(تنهض سوزان وتتحرك بضع خطوات للأمام بإتجاه الجمهور)

سوزان نعم... لم يعرض أعماله قبل نشرها على أحد ... أما عن الصورة فقد كانت هامة له ... لذلك تعودت دائما أن أنقل إليه من الصورة أهم معالمها حتى لا يتصرف خطأ ... وحتى يشاركنا جميعا ما نرى...(تنظر إلى أسفل ، ثم إلى الجمهور وتقول بحزن شديد) ما كان أحد يشعر أبدا ... أو حتى يفكر أثناء حديثه إليه أنه كفيف ... كان يبذل قصارى جهده فى عدم إظهار ذلك ... كانت نظارته تخفى ما ورائها ... وهو أيضا يحاول إخفاء كل شيء حول آفته... كان دائما يكرر مقولته الشهيرة... أنا لا أحب الطرق القصار... ولا الأبواب الواسعة ... بل أحب الطرق الطويلة والأبواب الضيقة...(تشدد الإضاءة على أمينة التي تنظر إلى والدتها وتقول)

أمينة كانت قراءات والدي متنوعة ... أذكر ذلك جيدا عندما كنت أقرأ له ... خاصة في الأدب الأوربي وتحديدا الفرنسي ... إهتم كثيرا بالأدب الروائى ، إضافة إلى القصة القصيرة ... وهو ما أثرى خياله... خاصة وأن بالقصة القصيرة والرواية صور حية متحركة نابضة وهو ما يختلف عما هو موجود بالشعر أو الفلسفة... (يضيف مؤنس وهو جالس وسط أهله وأصدقاء الأسرة)

مؤنس لقد جسد والدي موقفه من الحاضر في الرواية والسيرة والقصة القصيرة والمقال ... ولعل الأيام وأوديب من ناحية والحب الضائع ودعاء الكروان وشجرة البؤس من ناحية أخرى .. ثم المعذبون في الأرض أخيرا طرحت رؤيته للحاضر لتصبح جسرا بين التراث والعصر... بين الإسلام والغرب ...(تتدخل أمينة) .

أمينة تأثر والدي بالكاتب الفرنسي هنرى دورينييه وما تحمله أعماله من الصراع بين الأمل واليأس والخوف والاطمئنان والحب والكره...(وتضيف سوزان)

سوزان كما تأثر كثيرا بأعمال فولتير وما يوجد بها من الجو الشرقى بكل زهوه وحرارته ... وقام بترجمة بعض أعماله وعلى رأسها زاديج ... وأذكر جيدا أنه كان يكرر ما أعلنه فولتير (يسمع صوت طه حسين بنبرته المعروفة)

صوت طه لم يصبح فولتير قاصا إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة ... وقال فى هذا الخصوص ... كم أتمنى أن أفقد ذاكرتى لاستعيد حلاوة القراءة الأولى

تسمع موسيقى ويسود الظلام

المشهد الرابع

يفتح الستار ويشاهد طه حسين بالقسم الخلفى للمسرح يجلس بمكتبه وبجواره سكرتيره الخاص الذى يكتب ما يمليه عليه طه حسين . تخفت الإضاءة قليلا عن القسم الخلفى وتتجه إلى القسم الأمامى حيث الراوى "١" بشرفته العلوية

الراوى (١) كتب طه حسين كثيرا من الكتب التاريخية مثل.. الفتنة الكبرى ... عثمان ... الشيخان .. على وبنوه... وكتب أخرى شبه تاريخية مثل .. الوعد الحق ... على هامش السيرة ...إضافة إلى الكتب الروائية ومنها .. دعاء الكروان .. شجرة البؤس ... أحلام شهر زاد ... وأوديب ... كما ألف كتبا شبه روائية مثل ... الأيام ... وكتب القصة القصيرة ومنها مجموعته جنة الحيوان التى نشرت عام ١٩٥٠ ... ثم ...المعذبون فى الأرض التى منعت من النشر فى مصر فإضطر إلى نشرها فى صيدا بلبنان عام ١٩٤٩ ...

الراوى (٢) بخصوص مجموعته القصصية القصيرة ... المعذبون فى الأرض... فقد بدأ كتابتها عام ١٩٤٦ ... وكانت القصص الست الأولى منها تحمل عناوين أسماء أعلام من أبطاله ... ونشرت بمجلة الكاتب المصرى على فترات متقطعة فى أعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و١٩٤٨ ... أما القصص الخمس الاخيرة من المجموعة فكانت على شكل مقالات قصصية تحت عناوين ... خطر ...

تضامن ... ثقل الغنى ... سخاء ... ومصر المريضة ...(تتجه الاضاءة الى الراوى " ١ " بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) ونشرت كل من ... خطر ... وتضامن ... بمجلة الكاتب المصرى .... بينما ... ثقل الغنى ... وسخاء ... فى صحيفة النداء ... أما ... مصر المريضة ...فقد نشرت بصحيفة المصرى ...(تتجه الإضاءة إلى القسم الأمامى حيث يشاهد مجموعة من المثقفين من النساء والرجال فى صالون ثقافى ويتحدث فيهم رجل ويقول)

رجل (١) لقد عكست مجموعته القصصية القصيرة ... المعذبون فى الأرض... أزمات الحياة المصرية التى عاشتها فى مرحلة الأربعينات ... وكانت تلك الأزمات دافعاً قوياً لطه حسين ليشدد فى كتاباته على ضرورة تعميم التعليم والتركيز عليه ... لكن يبدو أن رسالة التعليم عنده تحولت إلى وعظ وإرشاد ...(تضيف إمرأة من الجالسين معهم)

امرأة (١) أذكر... أذكر أن بعض الدراسات النقدية أشارت إلى أن تلك المجموعة القصصية مثلت ثورة طه حسين على الأوضاع الإجتماعية وحالة التخمة التى كان ينعم بها الأثرياء والأغنياء عندما نشرت المجموعة بالصحف والمجلات فى ذلك الوقت ... وقد أدى ذلك إلى حظر نشر تلك المجموعة فى كتاب بمصر.(تضيف إمرأة أخرى)

امرأة (٢) يبدو أن تلك القصص القصيرة كانت لاذعة للغاية ومقلقة للنظام الحاكم فى ذلك الوقت ...(يرد رجل آخر)

رجل (٢) هذا صحيح ... ولعل من أبرز ما أشار إليه طه حسين في تلك القصص ... وباء الكوليرا (تستفسر إمراة أخرى)

امرأة (٣) ماذا قال... لا أتذكر هذا الموضوع ... ماذا قال؟ (تتجه الإضاءة إلى الراوى " ٢ " بشمال أعلى المسرح)

الراوى (٢) فى قصته القصيرة ... مصر المريضة ... التى أخذت شكل مقال قصصي ...جاءت سخرية طه لاذعة للحكومة المصرية بعد تفشى وباء الكوليرا الذى عانى منه الفقراء خاصة ... وقد شدد طه حسين على قصور الدولة فى العناية الصحية بأهلها ...

خاصة وأن هذا المرض لا يتفشى إلا مع القذارة والفقر . . .وفى هذا الصدد قال طه حسين (تنحسر الإضاءة عن مقدمة المسرح وتشدد على طه حسين بمكتبه وهو يملى سكرتيره الذي يكتب ما يقول وطه ينظر بإتجاه الجمهور) .

طه حسين رأيت هذا الوباء وأنا لم أتجاوز العاشرة . . . فكان له فى قلبى وحياتى كلها أبلغ الأثر وأعمقه وأبغضه . . . لقد أصاب الوباء أخي محمود وهو فى عنفوان الشباب حيث كان عمره ثمانية عشر عاما ويعد نفسه لدراسة الطب وهو إبن القرية فى ذلك الزمان . . . ما أعنف وأقسى هذا المرض الذى نتج عن إهمال تام للحكومة . . .(تتجه الإضاءة إلى الرواى " ١ " بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) وفى قصته القصيرة . . . قاسم . . . يحاور طه حسين قارئه . . . ولكنه فى واقع الأمر يعنى الحكومة المتخاذلة البعيدة عن متطلبات الفقراء والمرضى . . . فيقول طه بتحدي واضح (ينهض طه واقفا ويتحرك بضع خطوات للأمام ويرفع يده فى الهواء)

طه حسين لن أقيم فى الدار . . . ولن أتبع قاسما . . . ولن أتبع سيدنا . . . وإنما سأخرج من الدار . . . وسأنحرف إلى الشمال فأسعى حينا . . . ثم أنحرف إلى الشمال مرة أخرى فأسعى قليلا(أثناء ذلك يشاهد بمقدمة المسرح وسط ظلام دامس رجل يجرى بقوة ومسلط عليه ضوء أصفر ويتحرك طبقا لما يقوله طه حسين شمالا وشمالا ، ويستمر طه فى حديثه) . . . ثم أنحرف إلى اليمين فأمضى خطوات . . . ثم أجد فى أقصى هذه الحارة الحقيرة . . . حجرة حقيرة . . . (يتوقف الرجل عن الجري وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة وتنحسر عنه الإضاءة وتسمع موسيقى ، ثم تعود الإضاءة ثانية إلى القسم الأمامي حيث نفس المجموعة من الرجال والنساء، ويعقب رجل منهم على ما قاله طه بينما تظل الإضاءة خافتة بالقسم الخلفي حيث يعود طه إلى كرسيه)

رجل (٣) في هذا العمل . . . كان طه حسين يطوف بالقارىء ساخرا من النظام الحاكم الذي يعامل شعبه من الفقراء تلك المعاملة اللاآدمية التي تنتهي بعد طول عناء بتلك الغرفة الحقيرة التى تقتل فيها آدمية الإنسان كل يوم . . .والتى يعيش فيها ملايين الفلاحين البؤساء وتسميها الحكومة وكبار الساسة غرفا وبيوتا وهى دون حظائر الحيوان فى كل شيء . . .(يعلق رجل " ١ " ثم يستفسر)

رجل (١) كان قويا وعنيفا فى نقده للنظام ...ولكن كيف ... كيف تعامل مع البؤس والشقاء ؟(يرد الراوى "٢" بشمال أعلى المسرح)

الراوى (٢) فى قصته القصيرة...المعتزلة ... أشار طه حسين إلى البؤس والشقاء بطريقة ساخرة من الأغنياء والمترفين ... وهو أقرب فى ذلك من منهج زولا والذى أخذ منه محمود تيمور من قبل طه حسين ... (يقول طه وهو يملى سكرتيره)

طه حسين ينبغي أن تحبب البؤس إلي الرجل الفقير ... ليحتمله وليتزيد منه ما استطاع ... وأن تزين فى قلبه الشقاء ليصبر عليه .. ويمعن فيه إن وجد إلى الإمعان فيه سبيلا ... فالبؤس قضاء محتوم ... والرجل الحازم العازم الحكيم خليق بأن يرضى بالقضاء المحتوم ...(تعود الاضاءة إلى القسم الأمامى ثانية حيث تعلق إمراة ، ثم تتساءل فى خبث)

امراة (٣) آه ... شرعنة البؤس والشقاء ...والقضاء المحتوم ... تلك ... تلك أشياء رهيبة لا تتفق وحق الانسان فى الوجود كريماً ...لكن ...ماذا هنا عن الوعظ والإرشاد فى رسالة طه حسين؟(يرد رجل "٤")

رجل (٤) فى الواقع ... كان طه كارها للبؤس والشقاء والقضاء المحتوم الذى تفرضه الحكومة على الفقراء والجهلاء...لذلك جاءت تلك الشرعنة فى محاولة للنيل من الحكومة التى تشرعن ذلك ... أما عن الوعظ والإرشاد ...فقد شددت مجموعته المعذبون فى الأرض على أنه يقوم فيها بدور الواعظ والمعلم الساخر ... وقد ظهر ذلك بشكل عام شامل ... لا تحتاج عموميته ولا شموله إلى وقفة خاصة ... ومع ذلك كان يعلن فى بعض الأحيان ... أنه يبغض ذلك الوعظ .. (تتجه الإضاءة إلى الراوى "١" بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) فى قصته القصيرة ... خطر ... التى هى أقرب الى المقال نجد أن طه حسين يقول فى افتتاحيتها(ينهض طه حسين واقفا ويتحرك للأمام ويقول وسكرتيره يكتب)

طه حسين أبغض كثيرا ... إلقاء الدروس في الوعظ والإرشاد وتنبيه الغافلين ... وإيقاظ النائمين ... وتحذير الذين لا يغنى فيهم التحذير والنذير .... ومع ذلك فأنا مضطر الى القيام بإلقاء الدروس والوعظ ... لأن ذلك هو ما تفرضه علىى الوطنية الصادقة والكرامة الإنسانية ...(تعود الإضاءة ثانية إلى الراوى "١")

الراوى (١) قد يكون طه حسين غير راغب فى القيام بالوعظ والإرشاد ... لكنه على أية حال يتقن هذا العمل تماما ... خاصة عملية التعليم التى أنفق فيها حياته وأعطاها كل عمره ...(يضيف الراوى "٢" بشمال أعلى المسرح)

الراوى (٢) كان هناك تباين واضح بين شعور طه حسين بقارئه ورغبته فى أن يعلم ويعظ ... وقد تدخل الوعظ والإرشاد بشكل كبير للغاية فى فنية مؤلفاته القصصية ... ومن ثم جاءت أعماله القصصية كلها خاضعة للعقلانية والتخطيط ... كما خضعت أعماله القصصية للكثير من الإستطراد وتوقف حركة الحدث الروائى ...(تعود الإضاءة إلى القسم الأمامى حيث يقول رجل "٣" فيهم والجمهور)

رجل (٣) لكن فى قصته القصيرة ... سخاء ... أعرب طه حسين عن ضيقه بالوضع الإجتماعى المصرى ... لذلك ذهب إلى الرغبة فى البعد عن هذا الجو كله بالفرار منه(تتجه الاضاءة الى الراوى "١")

الراوى (١) نعم ... هذا صحيح ... وفى هذا الشأن قال طه(تتشدد الاضاءة على طه وهو يقول)

طه حسين إلى التاريخ إذن ... وإلى أحاديث القدماء ... فقد ملأ المعاصرون قلوبنا يأسا ونفوسنا قنوطا ... لنهجرهم ... ولنهاجر فى الزمان إذا لم تتح لنا الهجرة فى المكان ... وإن أعجزني الفرار إلى بلاد أخرى ... فلا أقل من أن أفر إلى زمان آخر من أزمنة التاريخ ...

تسمع موسيقى ويسود الظلام

المشهد الخامس

يفتح الستار ويشاهد بخلفية المسرح لوحة مكتوب عليها صالون رواد المدرسة الحديثة ، وأمام اللوحة يشاهد عدد من الرجال يرتدون الزى الرسمى المكون من بدلة وطربوش ويتحدثون بحماس . ويقول أحدهم

رجل (١) نعم هناك خلاف واضح حول مجموعة طه حسين القصصية ... هناك من يرى أنها بعيدة عن فنية كتابة القصة القصيرة ... وهناك من يدعم طه حسين بأنها شكل جديد من أشكال القصة القصيرة (يستفسر رجل آخر وهو ينظر إلى بقية الرجال)

رجل (٢) وما هو موقفكم كرواد للمدرسة الحديثة من مجموعته القصصية ؟(يرد رجل "٣")

رجل (٣) رأى المدرسة الحديثة وعلى رأسهم محمود تيمور وعيسى عبيد وغيرهم أن مجموعته القصصية ... المعذبون فى الارض ... بعيدة عن فنية كتابة القصة القصيرة ... (ينظر حوله ويضيف) ... ذلك على الرغم من أن طه حسين يعلم جيدا بأصول فن كتابة القصة القصيرة والرواية ... (رجل "٢" مستفسرا)

رجل (٢) لماذا لا يلتقى طه حسين برواد المدرسة الحديثة لبحث ذلك الخلاف ؟ (يتدخل رجل "٤")

رجل (٤) وجهة نظر طه حسين معروفة للجميع... وأعلن عنها مرارا ... فقد رد على محمود تيمور وعبيد وغيرهم فى بعض مقالاته وأعماله القصصية ... لكنه لم يوجه حديثه مباشرة اليهم ولم يشر صراحة فى كتاباته إلى رواد المدرسة الحديثة، وإنما كان يطلق عليهم بالقارىء ... فى الحقيقة أنه لم يقصد القارىء العادى (يضحك الرجل) كما يقول المثل الشعبى ... الكلام لك يا جارة ... لكن ذلك لا يعنى مطلقاً أنه لا يعترف بهم ... (يستفسر رجل " ٣ ")

رجل (٣) وكيف كان يبرر موقفه هذا ؟ (يجيب رجل "٤")

رجل (٤) أذكر... أذكر أن أحد المقربين منه قال لى ... أن طه حسين عادة ما يبرر عدم إلتزامه بفنية كتابة القصة بأن جمهوره من القراء يريدون شيئا آخر غير القصة المتعارف عليها والتى ينادى بها رواد المدرسة الحديثة (يستفسر رجل "٤" فى نهاية حديثه) ... لكن... ما هو الشىء الآخر الذى يطالب به جمهوره؟(يجيبه رجل "٥")

رجل (٥) يعتقد طه حسين إعتقادا جازما ... أن جمهوره فى حاجة إلى التعليم والوعظ والإرشاد حتى لو لم يكن يعلن عن ذلك صراحة... ويبدو أن طبيعة طه حسين كمعلم... طغت فوق كل شىء ... فهو فى قصصه لم يستطع أن يبرأ من هذه الصفة ...(يتدخل رجل " ٣ ")

رجل (٣) أجزم أن طه حسين يعترف داخليا بفكر المدرسة الحديثة ولكنه عنيد بعض الشيء ... والدليل على ذلك... أنه يعود مرة أخرى ويتحدث عن فنية كتابة القصة القصيرة ... ذلك الفن الرفيع الذى له قواعد وأصول ... وأتذكر قوله فى هذا الصدد (تخفت الإضاءة قليلا عنهم ويسمع صوت طه حسين)

صوت طه إن قواعد فن كتابة القصة تقيد الفنان ... لكنها قيود ما يكاد يألفها حتى ينطلق حرا ... والفن الرفيع قيدا حر إن صح هذا التعبير ... فهو يفرض على صاحبه أثقالا وأغلالا لا يستطيع أن يتخلص منها دون أن يفسد منه إفسادا ... وينحرف به عن طريقه المستقيمة المقسومة له ... لكنه مع ذلك لا يكاد ينهض بأثقال هذا الفن وأعبائه حتى تستقيم له الأمور وتمتد له الأسباب وترخى له العنة ... وإذا هو يمضى بفنه حيث يشاء(يستفسر رجل "١")

رجل (١) حتى الآن ما زلت أستفسر ... ما هو رأي طه حسين في تكنيك فن كتابة القصة القصيرة ؟(يرد رجل "٥")

رجل (٥) كان يرى... أن القصة القصيرة والرواية من أكثر الأشكال الأدبية تقلبا وتطورا فى قواعد نقدها ... وهى ليست كالشعر الذى حظى على مر العصور ببعض القواعد والأصول ... وقد شدد طه ... على أنه نظرا لحداثة عهد القصة القصيرة وكثرة تقلبات شكلها ... فإنها ما تكاد تطمئن إلى قاعدة حتى يأتى عمل رائع مسلم بروعته ينسف هذه القاعدة نسفا ... ويستشهد على ذلك برواية الحرب والسلام لـ تليستوى التى عصفت بكل ما سبق أن وضع للرواية من قواعد ...(يستفسر رجل "٢")

رجل (٢) ما الذي يعنيه من وراء ذلك ؟ (مستفسرا) هل هذا خصام مع النقاد أم ماذا؟(يجيب رجل "٣")

رجل (٣) ربما يكون خصام وقتى... فقد قال فى قصته القصيرة ...صالح ... أنه لا يصنع القصة كى يخضعها لأصول فن كتابتها.
(يتسائل رجل "٤" محاولا تنوع الحديث)

رجل (٤) دعنا نبحث فى قضية أخرى تتعلق بشخوص طه حسين فى مجموعته القصصية القصيرة ... فهل لنا أن نلقى الضوء عليها ؟(تتجه الإضاءة إلى الراوى " ١ " بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) عندما كان طه حسين يقوم برسم شخوصه ... كان يحشد الصفات الدالة على خلق الشخصية ... فى نفس الوقت يحشد الصفات القليلة الدالة على مظهرها الخارجى ... ولا يتحدث إلا نادراً عن لباس الشخصية ... وفى حال وصف شخوصه كان يحشد أيضا الصفات المتناقضة لها ... فهو يتحدث مثلا عن الخشونة والعذوبة فى صوت الشخصية... أو الجمال والدمامة كما هو الحال في شخصية... سعدى بنت أم تمام فى قصته القصيرة ... المعتزلة ... بمجموعته المعذبون فى الأرض... (يتوقف برهة ، ثم يضيف) أيضا استخدم فى وصف شخصياته عبارات مثل... رائعة القبح... أو...إن وجهه يكشف عن حسن أليم..(تنحسر الإضاءة عن مقدمة المسرح وتشدد على القسم الخلفى حيث يستفسر رجل١) .

رجل (١) وماذا عن الرمزية التى كان يستخدمها دائما فى رسم شخوصه؟.. (يرد رجل "٦")

رجل (٦) كانت الرمزية أحد أهم معالم شخوصه ... والشخصيات التى أبدع طه حسين فى تصويرها ... هى شخصيات معلميه... قد لا يكون متعاطفا مع المصريين من هؤلاء المعلمين إلا الشيخ المرصفى ولطفى السيد ... لكنه كان منبهرا بالفرنسيين منهم ومعجب بهم أشد الاعجاب... أما معلميه من المصريين خاصة شيوخ الطرق الصوفية ... فقد كان يعاملهم معاملة المعلمين المتخلفين الزائفين ... فيقسو عليهم قسوة شديدة لأنهم سبب التخلف وعنوانه ... ومع ذلك فقد كان يبدع فى تصويرهم فنيا ...أما شخوصه البؤساء من الشباب والكهول رجالاً ونساء من العامة... فقد جاءوا فى المرتبة الثانية من حيث الرسم الدقيق للشخصية (يضيف رجل "٧")

رجل (٧) أشير هنا إلى أن شخوصه ... هى نماذج وليست أفراداً بعينهم على الرغم من أنه قام بتسميتهم ... ففى مجموعته القصصية المعذبون فى الأرض ... كانت أسماء ... صالح ... أمونة ... وسكينة ... ليست أسماء أفراد بعينهم ... (يصمت برهة، ثم يضيف) لقد قال طه حسين فى هذا الخصوص ... إن صالح فى المعذبون فى الارض ..هو موجود وغير موجود ... لأننا نراه فى كل ساعة ...وفى كل مكان... فهو يملأ المدن والقرى ويسرف على نفسه وعلى الناس

فى الوجود ... والشيء اذا زاد عن حده إنقلب إلى ضده...(يصمت برهة ويضيف) ... كما إتسمت شخوصه فى مجموعته القصصية ... جنة الحيوان ... بأسماء تلك الحيوانات التى لها صفة تنطبق فى رؤيته على الصفة الأساسية للصورة التى يرسمها لشخصية من يريد أن يحدثنا عنه ...(يتسائل رجل " ٣ ")

رجل (٣) لقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن شخوص طه حسين... ولكن ماذا عن السرد فى قصصه ؟(يرد رجل " ٥ ")

رجل (٥) أبدع طه حسين فى الوصف السردى ... وقد أعانه على ذلك ما أخذه عن العرب والفرنسيين واليونانيين وما أحيط به من إسلوب شعبى... لذلك أصبح لديه مزيجا فريدا إستطاع بكفاءة أن يستخدمه فى أعماله القصصية والروائية ...(يستفسر رجل " ١ ")

رجل (١) اذا كان السرد كذلك كما تقول ... فماذا عن التكرار فى أعماله القصصية خاصة وأن بعض النقاد أشاروا بعدم الرضا عن ذلك التكرار؟ (يرد رجل " ٦ ")

رجل (٦) التكرار عند طه حسين ... ليس تكرار الفقرات ... ولا تكرار المواقف والشخصيات ... وإنما هو سر الفن العربى الإسلامى الذى يتجلى عند طه حسين فى شكل كلمات ... بينما نراه عند العرب فى الرسوم الهندسية المتكررة اللانهائية كما هو الحال فى فن الأرابيسك ...(يستفسر رجل " ٣ ")

رجل (٣) اذا إنتقلنا إلى لغته القصصية ... كيف وظفها فى عمله الإبداعى ؟ (يرد رجل "٧")

رجل (٧) يوصف طه حسين بأنه لم يخطىء قط في النحو ... ولو أنه كان يلجأ في أحاديثه إلى تسكين الحرف الأخير حتى يتخفف من ثقل الإعراب ... فقد كان يؤمن بأن اللغة يسر لا عسر ... لذلك طالب بتيسير النحو العربي وتخفيفه بما لا يمس أصول اللغة وذلك بإقامة النحو على الظواهر الطبيعية ... أو وفق الوضعية المحضة التي تتخذ من التحليل العلمي طريقها إلى الحقيقة...(يضيف رجل " ١ ")

رجل (١) بإعتباري مدرس لغة عربية..علمت أنه طالب بتيسير الكتابة ... وذلك بأن تكتب الكلمات كما تنطق ... فيكتب إسم طه حسين مثلاً... طاها بالألف بدلا من الهاء

... وكان أيضا مع تعريب الكلمات ذات الأصل الأجنبي خاصة اللاتيني واليوناني التي دخلت اللغات العالمية ... وأذكر أن طه حسين كان من أوائل الذين إستخدموا كلمة الأستاذ والدكتور للمذكر والمؤنث على غرار إستخدامها في اللغات الأخرى ... وفوق ذلك كان مع كل أخذ وعطاء مع الثقافات والحضارات الأجنبية ... إيمانا منه بأنه لا حواجز بينها ... وبأن العلم لا وطن له ...كان يريد أن يصل علمنا بالحضارة الإنسانية المعاصرة إلى أقصى مدى ممكن ... وذلك عن طريق اللغات الأخرى والتي لا يكون الأديب أديباً أو ناقداً بدونها مع ضرورة إتقان العلم القديم ...

تسمع موسيقى ويسود الظلام

المشهد السادس

يفتح الستار ويشاهد بخلفية المسرح طه حسين يجلس فى مكتبه وحوله عدد من تلاميذه ومريديه وهو يتحدث فيهم وبين أصابع يده اليسرى سيجارة . تخفت الإضاءة عنهم قليلا لتتجه إلى مقدمة المسرح حيث يشاهد رجلان يقول أحدهما للآخر وهو يشير بيده ناحية طه حسين

رجل (١) لقد علمت أن طه حسين كان غاضبا عندما أخبره بعض المقربين منه بما يدور فى ببعض الصالونات الأدبية حول ما يردده رواد المدرسة الحديثة بخصوص عدم إهتمام طه بفنية كتابة القصة القصيرة... خاصة بعد أن غالى بعض النقاد وقالوا أن طه غير ملم بفنية كتابتها ... على الرغم من أن الجميع يعرف جيدا أن طه قرأ لـ موباسان ... وزولا ... وتشيكوف ... وغيرهم ...وهو ما يعنى أنه يعلم كل العلم بكافة فنون كتابة القصة والرواية(يرد الآخر)

رجل (٢) نعم علمت بذلك ... لكن المثير أن طه حسين لم يتحاور معهم وجها لوجه ... وإنما تجىء محاوراته معهم عبر كتاباته التي يصفهم فيها بالقارىء... وهو ما يضايق النقاد كثيراً لأنه يخلق نوعا من الإلتباس بين القارىء العادى ورواد المدرسة الحديثة ... لكن أذكر أن رده فى هذا الشأن جاء واضحا فى بعض قصصه القصيرة بمجموعته ...المعذبون فى الأرض... عندما وضع هؤلاء المعارضون من نقاد ورواد المدرسة الحديثة في منزلة القارىء الذي يحاور المؤلف ويطلب منه ... أى من طه حسين... ضرورة الإهتمام بالفنية فى شكل القصة ... وهو ما يعنى أن طه يدرك جيداً ماذا يريد الآخر منه ...(تنحسر الإضاءة عنهما وتتجه الى الراوي " ١ " بيمين أعلى المسرح)

الراوى (١) نعم . . . لقد رد طه حسين على أصحاب الرأى الآخر حول فنية كتابة القصة القصيرة فقال . . . (تتجه الإضاءة إلى القسم الخلفي حيث يقول طه فى مريديه)

طه حسين لقد قلت فى مجموعتى القصصية . . . المعذبون فى الأرض . . . أن الكاتب حر فى إدارة أحداث القصة كما يريد . . . وفى كتاباتى لم أوجه حديثى إلى العلماء أو الصفوة من القراء . . . وإنما قصدت القارىء العادى وخاصة الشباب منهم . . . وتحديدا التلاميذ الذين آلفتهم وآلفونى . . . وأحببتهم وأحبونى . . . لأننى أرى فيهم شعاع الأمل الذى يبدد كل يأس فى ظلمة الأحداث القومية العامة التى نعاصرها . . .(يقف طه حسين ويخطو بضع خطوات قليلة للأمام ويضيف) . . فالشباب هم الأمل فى تحرير الوطن . . . وفى جعل العلم زاداً مشاعا بين عامة الناس ليحيوا حياة حرة كريمة . . .(يرفع يده اليمنى تجاه الجمهور ويقول بصوت يملؤه الثقة) . . . إن ما أكتبه هو خواطر وصور تخطر لى . . . ومن ثم . . . إذا لم تعجب هذه الخواطر القارىء المعارض . . . فما عليه إلا أن يتوقف عن القراءة . . . (ينهض أحد مريديه وهو فى السبعين من عمره ويتقدم نحو طه ويقول بصوت فيه حميمية وهو يضع يده على كتف طه حسين)

المسن لكن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية . . .(يبتسم طه)

طه حسين نعم . . هذا صحيح . . . لكنى أريد أن أكون كاتبا ذا خطر . . . فأرضى قرائى وأسخطهم . . . وأسر قرائى وأسوءهم . . . وأعجب قرائى حتى لا يستطيعون الإبتعاد عنى . . . وأغيظهم حتى يمقتونى أعظم المقت . . .(يعود طه حسين ومعه الرجل الكهل إلى الجلوس، ثم يسأله أحدهم بلطف)

رجل (٣) يقول رواد المدرسة الحديثة . . . أنك لا تتقيد بقواعد تكنيك كتابة القصة القصيرة لأنك مثل الحياة تثور على القواعد . . . وهذا الشكل مرفوض من قبلهم لأنه فى نظرهم يبتعد عن تطور فن كتابة القصة القصرة (يبتسم طه حسين)

طه حسين لقد أجبت على ذلك فى قصتى القصيرة . . . صالح . . . وقلت فيها . . . ليست الحياة أقل منى ثورة على الأصول الموضوعة والقواعد المرسومة والمدبرة . . . وإنما الحياة تمضى كما تريد هى . . . لا كما يريد الناس .(رجل "٤" مستفسرا)

رجل (٤) هل من ثمة تقارب بينك ورواد المدرسة الحديثة؟

طه حسين (يأخذ نفسا عميقا من سيجارته ، ثم يخرجه لأعلى ويقول)عندما أصنع القصة ... فلن التزم بإخضاعها لهذه الأصول الفنية ... لانى لا أومن بها ... ولا أذعن لها ... ولا أعترف بأن للنقاد مهما يكونوا ... أن يرسموا لى القواعد والقوانين مهما تكن ... إن ما أحدثته رواية الحرب والسلام لـ تليستوى التى عصفت بكل ما سبق أن وضع للرواية من قواعد جعلنى أومن بأن اللاشكل هو الأنسب للقصة القصيرة حتى الآن خاصة وأن هذا الفن لا زال فى بداياته وقابل للتغير دائما.. لذلك فأنا لا أقبل من القارىء مهما ترتفع منزلته ... أن يتدخل بينى وبين ما أحب أن أسوق من الحديث ...إن ما أكتبه هو كلام يخطر لى ... فأمليه ... ثم أذيعه ... فمن شاء أن يقرأه ... فليقرأه ... ومن ضاق بقراءته ... فلينصرف عنه ...

تسمع موسيقى ويسود الظلام

المشهد السابع

يضاء المسرح تدريجيا حيث يشاهد بالقسم الخلفى أسرة طه حسين المكونة من زوجته سوزان وابنه مؤنس وابنته أمينة وسكرتيره فريد وصديقة الأسرة سهير القلماوى ومدام غنيم وعدد من الاصدقاء وجميعهم فى حالة حزن شديد ، ثم تتجه الإضاءة الى الراوى" ١ " بيمين أعلى المسرح

.

الراوى (١) كان طه حسين يعانى من رقة صحته ... وعلة معدته... والإغماء الذى كان يصيبه كثيرا فى مرحلته الاخيرة... لذلك كانت رحلته السنوية إلى الجبل الفرنسى ضرورة صحية لا ترفاً على الرغم من أن نفقاتها كانت ترهقه كثيرا ويعمل لها ألف حساب كل عام ... كان يعود إلى القاهرة ومعه العديد من الكتب التى إشتراها من فرنسا ... وفوق ذلك كتاب قام بكتابته وهو فوق الجبل الفرنسى،إضافة إلى إختزان قراءات وثمرات لقاءات خصبة غنية تتفجر من خلال دروسه لتلاميذه ورؤيته لمشروعه القومى ذى الآفاق البعيدة .(تنحسر الاضاءة عن الراوى" ١ " وتشدد على القسم الخلفى حيث تقول سوزان موجهة حديثها إلى سهير)

سوزان (بحزن) أتذكرين قبل وفاته ببضع شهور أنى قلت لك ... أنى أتأنق لنفسى ... فى الحقيقة أننى كنت أتعمد ذلك حتى لا يشعر أصدقاؤه وعارفوه أنى أهمل نفسى لأنه كفيف لا يرانى ... (تنظر لأفراد العائلة ثم للجمهور وتضيف بحزن) من حقه أن تكون زوجته مثل زوجات المبصرين ... كنت أحس أنه كان يرانى وأنا أتحدث أو أتحرك هنا وهناك ... (تكاد تبكى) لم ... لم أشعر مطلقا أنه كان كفيفا (تسألها سهير)

سهير ألم يكن يشكو أو يتذمر من فقد بصره ... بعد ... بعد أن كبر فى العمر وأصبح مقعداً؟ (تقف سوزان وتتحرك بضع خطوات للأمام بإتجاه الجمهور وهى تقول)

سوزان قليلاً ... قليلاً ... ولعله بالصمت الأليم كان يعبر عن ذلك (تنظر ناحية سهير) ... إنى أشعر برغبة شديدة فى أن أكون معه ... وأن أحس أنه ما يزال معنا ... (بحزن) رحل العزيز ... (تتجه الإضاءة إلى مقدمة المسرح حيث يشاهد الراويان وهما يهبطان الدرج ويتجهان إلى مقدمة وسط المسرح ويقول الراوي " ١ ")

الراوي (١) إن الكم الهائل من الدراسات والأبحاث والرواية والسيرة والقصة القصيرة والمقال عبرت بصدق شديد عن موقفه المعلن من الحاضر الذي هو بمثابة جسر واضح المعالم بين التراث والعصر ... بين الإسلام والغرب ... بين تجنب السلفية ذات الأبعاد المقيتة والإمساك بالرؤى التنويرية التي تشارك الآخر وتؤمن بالمواطنة (ثم يقول الراويان في صوت واحد)

الراويان (١و٢) هو أحد أبرز الضمائر المصرية الكبرى ... خاصة فى مرحلة الإنتقال بين الماضي الضعيف المهزوز إلى الحاضر ... الحاضر الذى صنع الثورات وكذلك المستقبل المهدد بالثورات المضادة ... (تسمع موسيقى حزينة ويضيف الراويان) ... ورحل الحبيب عن عالمنا العنيف المقيت في الثامن والعشرين .. من شهر أكتوبر العظيم ... عام ١٩٧٣ ... الذى إنتصرنا فيه على إسرائيل .. عن عمر يناهز الرابعة والثمانين

تسمع موسيقى وتغلق الستارة

المراجع

ابراهيم عوض: رسالة ماجستير فى فن طاهر لاشين القصصى ، كلية الآداب /جامعة عين شمس.

أندريه لوشابلان: فن الحب(أواخر القرن الثاني عشر).

بيير ديكسن: القصة فى سبعة قرون.

جاك ريسلر: الحضارة العربية.

حامد أبو أحمد : مفكر أزهرى ينصف فكر طه حسين، جريدة القاهرة، ١٦ يناير ٢٠٠٧ .

حسين أحمد أمين : النص فى الدستور على دين الدولة لا يعنى اقامة دولة دينية ، جريدة القاهرة، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١.

سيد حامد النساج : تطور فن القصة القصيرة فى مصر. مكتبة غريب، ١٩٩٠

سهير القلماوى: أثر العرب والإسلام فى الفن القصصى فى النهضة الأوربية، هيئة اليونسكو.

شكرى عياد: القصة القصيرة فى مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨.

طه حسين: المعذبون فى الارض، دار المعارف.

عباس خضر: محمد تيمور، حياته وأدبه.

محمود تيمور، حياته وفنه، مجلة الثقافة، اكتوبر ١٩٧٣.

* عباس العقاد: أثر العرب فى الحضارة الاوربية.

عبد الرحمن بدوى :دور الحضارة العربية فى تكوين الفكر الاوربى.

غالى شكرى: طه حسين : رحلة تمرد، جريدة العربى ، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٠ .

غنيمى هلال: النقد الأدبي الحديث.

فالنتين بوريسوف: مقال عن محمود تيمور ، مجلة الثقافة، اكتوبر عام ١٩٧٣.

كمال مغيث: طه حسين ومسيرته التنويرية، جريدة الاهرام، ٣٠ اكتوبر ٢٠٠١.

لانسون: تاريخ الادب الفرنسى.

مجلة الثقافة: أثر القصة الروسية على فن محمود تيمور، اكتوبر ١٩٧٣.

محمد تيمور: ما تراه العيون(مجموعة قصصية).

محمد تيمور: مذكرات باريس.

محمود أمين العالم : طه حسين، جريدة القاهرة، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١ .

محمود تيمور: شفاء الروح.

محمود تيمور:سلوى فى مهب الريح(يعتقد ان هذه القصة تجربة ذاتية للمؤلف).

محمود مكي: أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية.

مفيد الشوباسى: مرحلة الأدب العربي فى أوربا.

مكسيم جوركى: الأدب والحياة.

نبيل فرج : عميد الأدب العربى، جريدة القاهرة ، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١ .

يحيى حقى: فجر القصة العربية.

يوسف الشارونى : يوسف السباعى ومهمة الفنان التنبؤية، مجلة الهلال، القاهرة، فبراير ١٩٧٤.

يوسف الشارونى: القصة القصيرة فى مصر.